د. بسام أبو عبد الله

بعد فوزه.. بوتين: لن يصفقوا لنا.. إنهم يقاتلوننا بالسلاح!

فوز الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بفترة رئاسية جديدة أثار جنون الغرب الجماعي بطريقة لافتة ليس لأنهم لم يتوقعوا فوز بوتين، بل لأنهم صدموا بحجم الالتفاف الشعبي حوله، الذي أظهرته نتائج اللجنة المركزية للانتخاب، أي ما يقارب ٨٨ بالمئة، وهي نسبة مرتفعة لم يحصل عليها الرئيس الروسي في أي انتخابات سابقة، وكعادة المنظومة الغربية تبدأ بالقول هذه انتخابات غير شرعية، وكأن شرعية الانتخابات تأتي من الغرب وليس من الشعب الروسي، وهذه العبارة بالمناسبة استخدمت في الانتخابات الرئاسية السورية والإيرانية والفنزويلية والبوليفية والنيكاراغوية، وحيث تأتي الانتخابات بزعماء وطنيين حريصين على استقلال وسيادة بلدانهم نسمع العبارة نفسها، أي إن الغرب لا يقبل إلا بانتخابات تجلب أزلامه، وعملاء شركاته ومصالحه، ساعتئذ سيمنح الشرعية المزعومة التي يراها من خلال مصالحه هو، وليس مصالح الشعوب والدول.

الرئيس بوتين قال عبارة تلخص الواقع: «لن يصفقوا لنا، إنهم يقاتلوننا بالسلاح»، وهذه العبارة تنطبق على سورية أيضاً، أي إن أحداً في هذا الغرب لن يصفق لنا لأنهم يقاتلوننا بالسلاح والإرهاب والحصار والعقوبات، وهو ما يعني أن ما يطرحه البعض أحياناً من طروحات حول إمكانية إرضاء الغرب لتفادي الحروب والمواجهات، هي طروحات ساذجة وواهمة، ذلك أن تجربة روسيا قد تكون درساً لهؤلاء كي يفهموا ما أقصده، وكي يعرفوا أن بوتين الفائز بأصوات الروس الكاسحة فاز أيضاً بالتصويت على سياساته وإستراتيجية المواجهة، وعلى دعم العملية العسكرية الروسية الخاصة، وعلى التمسك بالاستقلال الوطني والكرامة والوحدة والتضامن، وبوتين الفائز من جديد أتى بعد إرث تاريخي ملء بالدماء والنفاق لروسيا، وبعد إدراك عميق أن الغرب «الأنغلوساكسوني» لا يمكن أن يتحمل روسيا القوية والموحدة، وصاحبة الكلمة في الساحة الدولية، ولا يمكن أن يتحمل زعيماً قوياً في الكرملين كبوتين، بل يريد رئيساً مثل يوريس يلتسين الذي كان يقول عنه مساعد مادلين أولبرايت، ستروب تالبوت، في إدارة بيل كلينتون: «يلتسين موافق على تقديم أي تنازلات، لكن المهم الآن أن نلحق الحصول عليها عند تناول كؤوس الفودكا»، تخيلوا نظرة الاحتقار هذه التي كان يتعاطى بها الأميركي مع رئيس روسيا آنذاك، على الرغم من أنه، أي الراحل يلتسين، كان مغرماً بالغرب، وكان مثل غورباتشوف قبله يعتقد بسذاجة، أو عن دراية أنه كلما تنازل أكثر رضي الغرب عنه أكثر، والحقيقة التي أصبحت واضحة لأي باحث موضوعي أن الهدف الإستراتيجي لأميركا والغرب كان تفكيك روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي أواخر عام ١٩٩١، ومحاولة التفكيك هذه قادها مجموعة من الأوليغارش اليهود الروس ذوي الارتباط الخارجي، إذ يكتب أحد الصحفيين الروس الاستقصائيين: إن مخطط خصخصة كل شيء في روسيا قاده، أناتولي تشوبايس، الذي ترأس هيئة صغيرة أسمها «لجنة خصخصة أملاك الدولة» وفي ممرات البناء الخاص بها مقابل فندق روسيا كانت تُسمع أصوات الخبراء الأميركيين، وهم الذين استدعاهم تشوبايس ليعملوا كمستشارين في مجال الخصخصة واقتصاد السوق، وبالمناسبة تشوبايس هذا هرب من روسيا بعد إعلان بوتين بدء العملية العسكرية الخاصة في أوكرانيا.

هذه العملية سماها الصحفي الروسي بعملية «بيع الوطن في سوق الأسهم»! ليس اعتراضاً على النهج الاقتصادي الذي كان يحتاج للتغيير بالطبع، لكن على الطريقة التي نفذ بها، والتي أدت إلى تدمير الاقتصاد الروسي، وجعله تابعاً لمنظومة الهيمنة الغربية ممثلة بصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، من أجل احتجاز القرار السياسي الروسي لاحقاً، وجعله رهين الخزائن الغربية.

لم يكن الرئيس بوتين آنذاك في موقع القرار، لكنه كأي وطني روسي يحب بلده وشعبه، كان يرى إلى أين يسير المال، وأي مصير ستواجهه روسيا إن تركت بأيدي هؤلاء، إذ عرف كغيره من الروس أنه في بداية شهر كانون الأول ١٩٩١ سافر يوريس يلتسين إلى بيلاروس في رحلة صيد داخل محمية طبيعية كما تقول الروايات المنشورة آنذاك، وهناك التقى زعماء الجمهوريات السلفية، أوكرانيا وبيلاروسيا، واتفقوا في ١٨ كانون الأول من تلك السنة على قرار حل الاتحاد السوفييتي وإعلان استقلال جمهورياتهم، على الرغم من أن هذا القرار جاء بعد ٩ أشهر تقريباً من الاستفتاء الشعبي الذي عبر من خلاله ٧٦ بالمئة من الشعب عن الرغبة في بقاء الاتحاد السوفييتي موحداً، ما يعني أن هذا القرار جاء مخالفاً للدستور، ومناقضاً للأعراف الديمقراطية، وقبل آنذاك إن يوريس يلتسين اتصل بالرئيس الأميركي جورج بوش الأب ليبلغه له هذه البشارة الديمقراطية جداً! ومع ذلك لم يقل له بوش: ماذا عن الإرادة الشعبية؟

بعد ذلك ذهب بوتين في ١ شباط ١٩٩٢ إلى منتجع كامب ديفيد الشهير ليوقع وثيقة تتضمن انتهاء المواجهة بين البلدين، وبدء حقبة تعاون ذي منفعة متبادلة، وهذه الوثيقة اعتبرت انتهاء للحرب الباردة.

مع كل هذا الانبطاح من قبل يلتسين، وكل الوعود الغربية التي ذكّر بوتين بها الزعماء الغربيين في ١٠ شباط ٢٠٠٧ في كلمته الشهيرة أمام مؤتمر ميونيخ للأمن عندما قال لهم إن أمن عام حلف «ناتو» السيد فيرنير وعد في ١٧ أيار ١٩٩٠ في بروكسل «إن واقعة استعدادنا لعدم نشر قوات «ناتو» خارج حدود ألمانيا توفر للاتحاد السوفيتي ضمانات أمنية ثابتة»، ليسألهم: أين هي هذه الضمانات؟ لقد كان ذلك الخطاب بمثابة إعلان روسي واضح للغرب بأن زمن الأحادية انتهى، وبأن الحرب الباردة تركت خلفها «قذائف موقوتة لم تنفجر»، ومنها حسب الرئيس بوتين: القوالب الإيديولوجية، والمعايير المزدوجة، والكليشيهات الأخرى من نمط التفكير بروح الأحلاف، وأضاف آنذاك: «يجري تعليمنا، نحن في روسيا، الديمقراطية على الدوام، لكن من يزعم أنه يعلمنا، لا يود أن يتعلمها هو بدوره لأسباب غير معروفة؟»

كان بوتين يتذكر أيضاً أنه في أيار ١٩٩٧ تم توقيع إعلان تأسيسي للعلاقات بين روسيا و«ناتو»، ينهي حالة العداء مع الحلف، لكن هذا الإعلان سقط في أول امتحان له في يوغسلافيا عام ١٩٩٩ عندما غزا الحلف يوغسلافيا لتفكيك أخر بقعة في أوروبا تمنع توسع «ناتو» وتشكل موطئ قدم للروس في قلب أوروبا من خلال جمهورية صربيا، وكان مشروع يوغسلافيا إنموذجاً صالحاً للتطبيق لاحقاً في الشرق الأوسط الكبير، والمشرق العربي من خلال التحالف بين أميركا وإخوان المسلمين.

هذا التاريخ الإخواني من الخداع، والكذب الغربي ذَكّرَ به بوتين قبيل الانتخابات الأخيرة في لقاء تلفزيوني حينما قال: ماذا لم يعدونا؟ لقد وعدوا بأن لا مزيد من الناتو، لن يتوسع وها هم على حدودنا! لقد وعدوا بتنفيذ اتفاقية مينسك للحل في أوكرانيا، وجاء ثلاثة وزراء خارجية أوروبيون إلينا، وقدموا ضمانات بذلك، وبعد يومين وقع الانقلاب في أوكرانيا! بصراحة: لا يمكن الوثوق بوعودهم!

في ٢٥ نيسان ٢٠٠٥ قال بوتين بوضوح شديد للشعب: «إن روسيا الاتحادية دولة تصون قيمها الخاصة وتحميها وتلتزم بميراثها وطريقها الخاص للديمقراطية، وإنه لن يتحدد وضعنا في العالم الحديث إلا بمقدار نجاحنا وقوتنا».

فهم الروس الدرس جيداً أن النجاح والقوة مفتاح المستقبل، والقوة ليست عسكرية وأمنية فقط، إنما قوة السياسة والتعليم، والبحث، والثقافة، وروح الأجيال الجديدة التي يجب أن ترتبط بالوطنية والقيم، والتراث والعادات والتقاليد، أي الهوية الحقيقية للروس، وليس الهوية المصطنعة والمستوردة من قيم الاستهلاك والسطحية والثقافة الغربية.

ضمن هذا المسار الطويل، والمخاض الصعب المليء بالخيبات والغدر والخيانة المؤامرات، سار بوتين صوب نصره الجديد عام ٢٠٢٤، مؤمناً بقدرة الشعب الروسي، وطاقاته الخلاقة، ومؤمناً بأن سقوط الاتحاد السوفييتي كما قال: «أكبر كارثة جيوسياسية حصلت في القرن العشرين، ومن لم يحزن على انهياره لا قلب له، ولكن من يريد إعادته بحلته السابقة، لا عقل له».

لقد أدرك بوتين بمرارة كيف أسقط الاتحاد السوفييتي بجرة قلم، وكيف تقلصت الحدود الجغرافية لروسيا عام ١٩٩١ إلى ما كانت عليه عام ١٦٦٣، وبجرة قلم أصبح ٥٠ مليون إنسان من الناطقين بالروسية خارج روسيا، ومع ذلك آمن أيضاً بأنه لهؤلاء جهاداً يحتاج للعمل والجهد والإيمان والصبر، للوصول إلى روسيا القوية.

بشيء الكاتب السوفيتي الشهير ألكسندر سولجنيتسين ما حدث بالنسبة له زمن انهيار الاتحاد السوفييتي في التسعينيات بالقول: «تخيلوا في أحد الأيام الرائعة أن تنفصل ولايتان أو ثلاث ولايات أميركية من الجنوب الغربي، وخلال ٢٤ ساعة يعلنون استقلالهم التام عن أميركا، وتصبح اللغة الرسمية هي الإسبانية، وجميع الناطقين بالإنكليزية منذ ٢٠٠ عام عليهم أن يختاروا باللغة الإسبانية، ويؤدوا القسم إلى الحكم الجديد، وإلا لن يحصلوا على الجنسية، ويحرموا من حقوقهم، عندها ماذا سوف يكون تصرف أميركا؟ بكل تأكيد سوف يحدث التدخل العسكري والحرب!»

مبارك فوز بوتين بثقة الشعب الروسي، ونضاله لرفعة بلده وشعبه، هذا المؤمن مهما قال في سورية للمشتركات الكثيرة بيننا وبين الروس، وكذلك للعالم والعدالة التي نتطلع إليها جميعاً.

يبقى سؤالي: هل ستتحقق نبوءة سولجنيتسين التي تخيلها عن أميركا في تسعينيات القرن الماضي؟

كاتب سوري

«الأورومتوسطي» وثّق عمليات إعدام ميدانية لفلسطينيين في «الشفاء»

الاحتلال يرتكب ١٠ مجازر وشهيدان لتوقف الكهرباء في مستشفى «شهداء الأقصى»

مع مواصلة كيان الاحتلال الإسرائيلي عدوانه على قطاع غزة لليوم ١٦٦، أعلنت وزارة الصحة الفلسطينية ارتفاع عدد ضحايا العدوان إلى ٣١٩٢٣ شهيداً و٧٤٠٩٦ جريحاً، حتى ساعة إعداد هذا الخبر مساء أمس، على حين طالب المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان المجتمع الدولي بالتدخل الفوري «لوقف المذبحة المستمرة التي يقترفها جيش الاحتلال الإسرائيلي في مجمع الشفاء الطبي ومحيطه في غزة، والتي أدت إلى استشهاد ١٠٠ فلسطيني على الأقل حتى وقت صدور البيان، العديد منهم نعرضوا لعمليات إعدام ميداني وتصفية جسدية عديدة بعد اعتقالهم. ودق «الأورومتوسطي»، وفق بيان أسس شهادات لمحتجزين مفرج عنهم وشهود عيان تفيد بتنفيذ قوات الاحتلال إعدامات ميدانية بحق مدنيين فلسطينيين نازحين داخل مجمع الشفاء الطبي في مدينة غزة، في إطار عملياته العسكرية المستمرة في المجمع لليوم الثالث على التوالي، حسب المركز الفلسطيني للإعلام.

وعبر «الأورومتوسطي» عن مخاوفه من تعرض المدنيين في عمليات إعدام ميداني، مؤكداً أن مجمل ما جمعه فريقه الميداني يشير إلى استشهاد ١٠٠ فلسطيني برصاص القوات الإسرائيلية داخل مجمع الشفاء الطبي وفي محيطه منذ إعادة اقتحامه ليلة الإثنين.

وكالات

رجل يحمل طفله أصيب إثر غارة جوية إسرائيلية على أحد المباني في رفح (أ ف ب)

قصف صاروخي إسرائيلي استهدف عمارة سكنية غرب مدينة غزة، في حين سقط شهداء ومصابون في قصف من الطيران الحربي الإسرائيلي على منطقة السمرة بحي الدرج شرق المدينة، كما قصفت مدفعية جيش الاحتلال شققاً سكنية في عمارة «مشتهى» مقابل برج شوا حصري بمدينة غزة.

كذلك إلى ارتقاء ٢٧ فلسطينياً شهداء نتيجة توقف مولد الكهرباء في مستشفى «شهداء الأقصى» في دير البلح وسط قطاع غزة، وفق ما ذكرت قناة «المملكة» الأردنية التي أشارت إلى ارتقاء ٨ شهداء وعدد من الجرحى بقصف إسرائيلي استهدف منزلاً في مخيم البريج.

وأمام هذا الوضع الكارثي، طالب المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، المجتمع الدولي بالتدخل الفوري «لوقف المذبحة المستمرة» التي يقترفها جيش الاحتلال الإسرائيلي في مجمع الشفاء الطبي ومحيطه في غزة، والتي أدت إلى استشهاد ١٠٠ فلسطيني على الأقل حتى وقت صدور البيان، العديد منهم نعرضوا لعمليات إعدام ميداني وتصفية جسدية عديدة بعد اعتقالهم.

وتابع: «تضمن المذكرة موضوع تهريب المخدرات واستغلالها من قبل الجماعات الخارجة عن القانون وتهريبها بين حدود البلدين عبر طرق غير رسمية، وضرورة الحفاظ على السلم المجتمعي وضرورة الحفاظ على العائلة العراقية خاصة بعد أن تبين أن أغلب الإرهابيين والدواعش الذين عاثوا بأمن العراق فساداً يتواصلون عن طريق الشبكة العنكبوتية، وعن طريق الاستخدام الخاطئ لمواقع التواصل الاجتماعي التي أضرت بعقول الشباب والمراهقين وكان هدفها هو الإساءة إلى وحدة شعوبنا، والإساءة إلى أمن شعوبنا، والمؤتمر كان ناجحاً بالإضافة إلى أنه شهد حضور قيادات أمنية وكبار الأساتذة الجامعين والأكاديميين من ١٥ دولة عربية.

من جهة ثانية أكد الحجيمي أن وزارة الداخلية والأجهزة الأمنية السورية تبذل جهوداً كبيرة لغرض الحفاظ على الزوار العراقيين وحركتهم بين المحافظات، والمراقد المقدسة والأسواق، قائلاً: «نؤكد على الجالية العراقية أو السياح القادمين بضرورة الالتزام بالقوانين والتعليمات التي تصدرها الأجهزة السورية المختصة».

وأوضح أن المبادرة الأخيرة للحكومة السورية بتخفيض رسوم دخول العراقيين إلى سورية من ٨٠ دولاراً إلى ٥٠ دولارا من باب التعامل بالمثل، انعكس على زيادة أعداد السائحين العراقيين والزوار العراقيين، وقال «الشهر الأول من العام الحالي شهد زيادة في عدد الزوار من ١٨ ألفاً العام الماضي إلى ٤٠ ألفاً هذا العام، متوقعاً أن تزيد نسبة الزوار منه بالمئة إلى يصل عدد الزائرين العراقيين إلى أكثر من أربعمئة أو خمسمئة ألف زائر خلال هذا العام، مشيراً إلى أن هذا الزيادة مردها إلى العلاقة بين الشعبين الشقيقين التاريخية الموغلة في القدم من خلال المصاهرة من خلال الترابط الاجتماعي ومن خلال النسيج الاجتماعي، مؤكداً أن طيبة أهل سورية جميعاً تجبر الزائر.

الاحتلال الإسرائيلي واصل عدوانه على مناطق لبنان الجنوبية

المقاومة العراقية تدك مطار «بن غوريون» بالمسيرات

في الوقت الذي واصل فيه الاحتلال الإسرائيلي عدوانه على مناطق وقرى جنوب لبنان، أعلنت المقاومة العراقية أمس استهدافها بالطيران المسير، مطار «بن غوريون» الإسرائيلي في فلسطين المحتلة، وذلك رداً على مجازر الاحتلال بحق المدنيين العزّل في قطاع غزة.

وحسب موقع «النشرة» الإلكتروني اللبناني، نشرت وزارة الصحة العامة اللبنانية أمس، التقرير التراكمي للطوارئ الصحية، وذلك متابعة للعدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان.

وسجل التقرير ٥ إصابات أول أمس، ما رفع العدد التراكمي إلى ١٢٢٥ إصابة، و٢١٦ حالة وفاة.

في غضون ذلك، أفادت قناة «المنار» بأن قوات الاحتلال الإسرائيلي المتمركزة عند الحدود الشمالية للفسطين المحتل أطلقت رشقات رشاشة باتجاه رعاة الماشية شرقي بلدة الوزاني في جنوب لبنان، على حين أوضح موقع «لبنان 24» أن الاحتلال أطلق الرشقات الرشاشة باتجاه الرعاة من قرية الغجر المحتلة.

إلى ذلك، نقلت صحيفة «إسرائيل هيوم» الإسرائيلية عن مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، قوله لـ«السلطات البلدية في الجبهة الشمالية»: إنه «ليس من المؤكد أن يبدأ العام الدراسي في أيلول»، وذلك بحسب ما ذكر موقع «النشرة».

ويأتي ذلك، مع استمرار الحرب الوحشية التي يشنها الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة بفلسطين المحتلة، والاعتداءات اليومية على أراضي جنوب لبنان، فيما يواصل حزب الله تنفيذ عمليات عسكرية ضد مواقع الاحتلال على طول الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة.

وفي نهاية شهر شباط الماضي، ذكرت وسائل إعلام إسرائيلية، أن حكومة الاحتلال صادقت على تمديد إجلاء سكان البلدات الحدودية في غلاف غزة ومع لبنان حتى تموز.

وفي السياق، زعم المتحدث باسم جيش الاحتلال دانيال هاغاري في تصريح لقناة «الحرة» الأمريكية نقله موقع «النشرة» اللبناني، أن حزب الله يجر لبنان إلى تصعيد خطير، وأضاف: «لكن هناك نافذة دبلوماسية ما زالت مفتوحة».

وادعى هاغاري «أن جيش الاحتلال يميز في عملياته بين المدنيين وعناصر حزب الله»